

عمالة الاشجار

للدكتور محمد بهجت

خريج جامعة كاليفورنيا

- ٢ -

خرج ماريبوزا

يقع في قمة جبال السيرا على ارتفاع ستة آلاف قدم . سمي كذلك لوجوده بمقاطعة بهذا الاسم . وماريبوزا ، كلمة اسبانية معناها « ابودقيق » ، وكان اول من لمح رموس اشجاره عن بعد رجلا يسمى « اوج » Hogg في سنة ١٨٥٥ . ولكن رجلا آخر يسمى « جالن كلارك » Galen Clark اكتشفه عام ١٨٥٧ واليه يرجع الفضل في ذلك . يصل اليه الزائر من طريق ضيقة لا تتسع لأكثر من عربة ، شديدة الانحدار والتعاريج ، تمر وسط غابات كثيفة مكثظة بأنواع الصنوبر التي تعطر الجو دوماً . وغالباً ما تكون حافة الطريق هي حافة هوة بعيدة القرار يغطي منحدرها آلاف الاشجار . وكثيراً ما يصادف الانسان قطيعاً من الغزلان يعترض الطريق ، تنو اليه بأعين سوداء كبيرة هادئة ثم لا تلبث ان ترتاع وتقفز في رشاقة نادرة وتختفي في ظلمات الغاب . ومن وقت الى آخر تخرق الاذن نغمة حلوة لطير جميل الريش يتفياً ظلال الأغصان . او يقفز امامك سنجاب صغير يقف على خلفيته ويرفع ذيله الطويل المنفوش على ظهره حتى يكاد يلامس مؤخر رأسه ، ينظر اليك لحظة ثم ينقلب راجعاً في سرعة البرق . واحياناً يصادفك دب اسود الفرو لامعه ينظر اليك متكاسلاً ثم يدير رأسه الى الناحية الأخرى متباعداً عنك غير عابئ بك .

وأخيراً تنتهي الطريق الى الحرج الذي لا تتجاوز مساحته ميلين مربعين . وهناك يشعر الزائر انه داخل في دهب فسيح معطر الأرجاء ذي عمد هائلة ، لا تستطيع الشمس ان ترسل الكثير من أشعتها الى ارضه لكثافة رموس الاشجار ، فالظل لذلك وارف ظليل ، والهواء بارد عليل ، واما الصمت فرهيب شامل وما هي إلا برهة حتى تملك الانسان خشية ورهبة فيصمت هو الآخر ويتأمل ! اشجاراً بأسقة تحلق رموس بعضها في الجوالى ارتفاع مائة وعشرة من الامتار . ويبلغ قطر البعض الآخر عشرة أمتار ! يرفع الانسان رأسه ليدرك سمو هذه المخلوقات النبيلة ولكنه لا يلبث ان يبطأ طئه في خشوع وذ هول ، يمسد بالحيرة

ويضج بالاستئلة . ترى كم من السنين قامت هذه العمدة النباتية في مكانها لا تبرحه ، تحمل الثلوج شتاء على اذرعها الضخمة المنبسطة وتحتمل الزمهرير ولطحات البروق وجلجلة الرعود ، وهطول الامطار وندفق السيول ؟ يقول بعضهم ثمانية آلاف سنة ، ويقول بعضهم اربعة آلاف ! ! ومهما يكن التقدير فانها ولا شك أسن المخلوقات الحية واعظمها . كيف لا والشجرة « الصغيرة » التي تجاوزت الخمسة ربيع لا تزال في ميعة الصبا ، واما التي سلخت من الزمن ألفي سنة فلا تزال في سن الكمولة ! ! إذا نظر الانسان الى شيخ قارب المائة او جاوزها شعر بوقار السن وجلاله ، وخشع لتلك المسحة الهادئة الحزينة ، التي تطبعها عليه يد الهرم . فما بالك اذا نظر الى مخلوق عمر ستة قرون ؟ ومع هذا فلا ترى ضعفاً ولا تقوساً ولا تهديماً ، بل ترى شموخاً وقوة وعظمة . ترى اصلها كأنه أبوالهول ناشبا اظفاره الضخمة في جانب فريسة هائلة ، تري التمكن والرسوخ . نعم ان عليها روح الكآبة والحزن ولكنها كالجبار



العلاق المدد او الملك الساقط

المكثب يرفع رأسه الى السماء في جمال وروعة ، غير عابئ بما في جنبه من طعنات او في نفسه من وخزات . وحقيقة ترى بعضها محترق الجانب او القلب غير انها لا زالت حية بأسقة تهزأ بكوارث الطبيعة وهو جها ، تطالع فيها رموز الصبر والاحتال والخلود ، ثم انها كتاب تاريخي ضخمة استوعب الكثير من تاريخ القرون ولكن كيف السبيل الى حل رموزه وطلاسمه ؟ هيئات اتقف صامتة ، تنظر مبتسمة ساخرة ، ولكنها لا تبوح بمكنون فؤادها فكانها حفيظة لسر الدهر

ولكل من هذه العمالة اسم يعرف به ، فهذه شجرة مارك توين تخلد اسم الكاتب المشهور وهي أطول اشجار العالم إذ يبلغ ارتفاعها ٣٣١ قدماً ، وهذه شجرة جالن كلارك مكتشف الحرج وهذه شجرة واشنطن ، وهذه شجرة غروب الشمس وهي آخره الاشجار التي تغيب عنها اشعة الشمس . وتلك شجرة الاصطبل

٣ - إذا أمكن أن تقور قاعدتها بحيث تشبه الغرفة استطاع أربعة عشر شخصاً أن يجلسوا على مقاعد حول مائدة مستديرة في وسطها من غير ما تراحم

٤ - إذا قطع ونشر خشبها انتجت ما يربو على نصف مليون قدم من الخشب

وبجانب آخر من الغاب يرى عملاق هائل صريعاً ممدداً يسمونه «الملك الساقط» Fallen monarch تقصر دون عظمتها وضخامته عمد قداماء المصريين الصوانية المتساقطة في المعابد . مؤثرة والله رؤية ذلك الطود الأشم بل ذلك الملك مزروع التاج منطرحاً على الأرض جسماً بلا روح - ذلك الطود الذي عاصر الاهرام حياً وها هو ذا لا يزال يسابقها في حلبة العمر إذ يأبى خشبه الاستسلام للعفن وللأضمحلال والفناء مع ان جنبه يلامس الأرض منذ مائتي عام !! وقد صورت أكثر من مرة وعليها عربة بستة أحصنة وعدة سيارات وجم غفير من الرجال .

ولعل أهم ما يتسأل عنه الزائر المتحير هو كيفية تكاثر هذه الاشجار وحفظ عبا . وربما تأخذ الدهشة إذا علم انها تتكاثر من بذرة في حجم الحردلة !! وتوجد هذه البذرة مع غيرها في مخروط صغير لا يزيد حجمه على حجم البيضة الكبيرة . وقد يحتوى المخروط على ثلاثمائة بذرة . وتنتج الشجرة عدداً هائلاً من هذه المخاريط ولكن ما ينبت من بذورها قليل جداً

وقيل الغروب عندما يتأهب الزائر لمغادرة ذلك المكان الساحر يرى ضرباً آخر من الجمال إذ تنفذ اشعة الشمس في حزم عريضة تشق ظلام الغاب الى سوق تلك الاشجار فتضيء جوانبها المغضنة بفيض من النور البديع يشف عن لون حجر يزرى بأجل ألوان رخام إيطاليا المصقول . أما الجوانب المقابلة فتكون معتمة مصبوغة بلون بنفسجي شفاف .. بعد ذلك نرى نفسك مضطراً الى مغادرة المكان إذ يهجم الظلام سريعاً . فاذا ما خرجت من الحرج الى الطريق استطعت ان ترفع صوتك بالحديث بعد ان كنت تهمس ، ثم تؤخذ بجبال الجبال عند الغروب . عجباً !! كيف يمكن أن تصطبغ رموس تلك الجبال ومنحدراتها واشجارها بهذا اللون البنفسجي البديع الذي لم يستطع العلم تقليده الى الآن ؟ .. وإن استطاع فاي جن يمكنهم أن يصبغوا به مثل تلك السطوح الهائلة في ذلك الوقت القصير !! ثم بعد ذلك ايضا تنطبع صور تلك الاشجار العجيبة في ذاكرتك الى مدى العمر ، وتقف فيها بارزة قوية بحيث تراها وتحسها ونحن اليها وانت في أى ركن من أركان العالم ؟

التي تؤوى خمسة عشر حصاناً جذعها الأجوف ، وتلك شجرة المنظار التي احترق من جوفها ما طوله خمسون قدماً فاصبحت كالمنظار ترى من داخلها السماء . سم تلك شجرة « واوونا » Wawona - تلك الشجرة العجيبة التي شق في احشائها طريق في سنة ١٨٨٠ ارتفاعه ثمانى اقدام وعرضه إحدى عشرة ترم منه عربات الزوار الذين يحجون اليها من انحاء المعمورة . ومع هذا لا تزال حية تضحك من اقوام الانسان الذي اعمل فيها قواطعها ومناشيرها وأجرى عليها هذه العملية الجراحية القاسية من غير ما مسكن او مخدر !! هي ارفع من ان تشكو هذا العبث الصغير !! وترى وسط الحرج « العملاق الرمادى » Grizzly Giant وهو من أضخم ما على وجه البسيطة من اشجار ومن اطولها عمراً . يبلغ ارتفاعها ٢٠٤ ومحيطها ١٠٤ اقدام ، رأسها غير كامل لأنه محترق ، ويظهر ان صاعقة انقضت عليه فاطارته . يبلغ سمك قشرها الذى يكسو خشبها نحو ٧٥ سنتيمتراً ، والعادة ان يكون لونه لون



شجرة واوونا بين بها الطريق التي شقت في اصلها

القرفة ، اما في هذه الشجرة المعمرة فاللون رمادى يشهد بمعاركة الرياح والامطار والشمس وعناصر الطبيعة الأخرى القاسية قروناً طويلة ، واقفة كأنها تصارع الزمن بسيف متكسر فهي كالبطل المنهوك المثخن بالجراح تغيب بين اضلاعه النصال والسهام . فن ذا الذى يرى هذا المخلوق النبيل ولا يحنى رأسه في خشوع واعظام واكبار ؟ من ذا الذى لا يقف باصلها ضارعا بعد ان يشعر بعظمة الخالق والمخلوق ؟ وسأحاول تصوير ضخامتها بمايلي من الأمثلة :-

١ - إذا وقف عشرون رجلاً في حلقة مقفلة حول أصلها بحيث تتلامس أطراف اصابعهم مع امتداد اذرعهم فانهم يستطيعون تطويقها تماماً

٢ - إذا شق في اصلها طريق يمكن ان تمر منها مركبتان من مركبات الترام جنباً الى جنب